تفسير الخازن

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

للإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الشهير بالخازن
المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

ومعه

تفسير البغوي

المسمى

معالم التنزيل

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود
الفراء البغوي الشافعي
المتوفى سنة ٥١٦ هـ

ضبطه وصححه

عبد السلام محمد علي شاهين

الجزء الأول

المحتوى

أول سورة الفاتحة ـ آخر سورة آل عمران

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣-٨٦٨٠٥١-٦٠٢١٣٣

فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣

أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتلّ جوّاظ جعظري مستكبر» العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير. والجواظ الفاجر المختال في مشيته، وقيل هو القصير البطين. والجعظري الفظ الغليظ، وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء» الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال ابن عباس: يعطي كثيراً بغير مقدار لأن كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل، والمعنى أنه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل معناه أنه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه أنه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه أنه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج منها لأن الحساب إنما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لأنها بين الكاف والنون وقيل معناه إن الله يقتر الرزق على ما يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء، ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته، بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج إليه، ولا معارض له في حكمه، ويحاسب فيما رزق، ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا، ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذاك؟ لأنه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسأل عما يفعل. وقيل: يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك أن نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع. وقيل: إنه تعالى يعطي أهل الجنة الثواب والأجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه إليهم بغير حساب قوله عز وجل:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢١٣)

﴿كان الناس أمة واحدة﴾ أي على دين واحد. قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد إلى أن قتل

أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثني عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا»؟ فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حريّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرّ رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا»؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب أن لا يُنكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»، ﴿ والله يرزق مَن يشاء بغير حساب ﴾، يعني: كثيراً بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على مَن يشاء ويبسط لمَن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني: من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله، معناه: يقتّر على مَن يشاء ويبسط لمَن يشاء، ولا يُعطي لكل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير مَنْ لا يحتاج إليه ولا يُعطي القليل مَنْ يحتاج إليه، فلا يُعترض عليه ولا يُحاسَب فيما يرزق، ولا يُقال: لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا، ولِمَ أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذاك، وقيل: معناه لا يخاف نَفاذَ خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون بما يخاف من نفاذ خزائنه.

قوله تعالى: ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾: على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده كان أمة واحدة، قال: سُمّي الواحد بلفظ الجمع، لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى منه حوّاء ونشر منهما الناس فانتشروا،

قابيل هابيل فاختلفوا. وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم إلى مبعث نوح ثم اختلفوا، فبعث الله نوحاً، وهو أول رسول بعث، ثم بعث بعده الرسل. وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته. وقيل إن العرب كانت على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن غيره عمرو بن لحي. وقيل كانت الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لأخذ الميثاق فقال: ألست بربكم؟ قالوا بلى، فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم، ثم لما ظهروا إلى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد. وقيل إن آدم وحده كان أمة واحدة يعني إماماً وقدوة يقتدى به وإنما ظهر الاختلاف بعده. وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله ﴿فبعث الله النبيين﴾ فإن قيل: أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وإدريس ونحوهم؟ فالجواب أن الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب. وقيل إن الآية دلت على أن الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على أنهم كانوا على إيمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج ﴿فبعث الله النبيين﴾ وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن بأسماء الأعلام ثمانية وعشرون نبياً ﴿مبشرين﴾ بالثواب لمن آمن وأطاع ﴿ومنذرين﴾ يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى، وإنما قدم البشارة على الإنذار لأن البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للأبدان والإنذار يجري مجرى إزالة المرض، ولا شك أن المقصود هو الأول فكان أولى بالتقديم ﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ أي الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب ﴿بالحق﴾ أي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف، وعلى شيث ثلاثون، وعلى إدريس خمسون، وعلى موسى عشر صحائف والتوراة، وعلى داود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمد ﷺ وعليهم القرآن ﴿ليحكم بين الناس﴾ يعني الكتاب وإنما أضيف الحكم إلى الكتاب وإن كان الحاكم هو الله تعالى لأنه أنزله. والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابة المنزل عليه فإسناد الحكم إلى الكتاب أو للنبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ أي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه ﴿وما اختلف فيه﴾ أي في الحق ﴿إلّا الذين أوتوه﴾ أي أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والإنجيل والذين أوتوه

وكانوا مسلمين إلى أن قتل هابيل فاختلفوا، ﴿ فبعث الله النبيّين ﴾ قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملّة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحاً وغيره من النبيّين، وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول نبي بُعث، ثم بَعث بعده النبيّين، وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح، ورُوِيَ عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفّاراً كلهم فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيّين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيّره عمرو بن لحيّ لعنة الله عليه، ورُوِيَ عن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب قال كان الناس حين عُرِضوا على آدم وأُخرجوا من ظهره، وأقرّوا بالعبودية لله تعالى أمةً واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمةً واحدة قطّ غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم، نظيره في سورة يونس [١٩]: ﴿ وما كان الناس إلّا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيّين ﴾، وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرّسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيّاً، ﴿ مُبشّرين ﴾: بالثواب مَن آمن وأطاع، ﴿ ومنذرين ﴾، محذّرين بالعقاب مَن كفر وعصى، ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾، أي: الكتب، تقديره: وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب، ﴿ بالحق ﴾: بالعدل والصدق، ﴿ ليحكم بين الناس ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿ ليحكم ﴾ بضم الياء وفتح الكاف ههنا، وفي أول آل عمران

اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضاً بغياً وحسداً. وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم. وقيل الكناية فيه راجعة إلى محمد ﷺ والمعنى وما اختلف في أمر محمد ﷺ بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته ﷺ إلّا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغياً منهم وحسداً ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ أي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد ﷺ ﴿بغياً بينهم﴾ أي إنهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء وإنما تركوا إتباعه بغياً وحسداً، وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ أي إلى ما اختلفوا فيه ﴿من الحق﴾ والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الأمة الإسلامية إليها (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغداً لليهود وبعد غد للنصارى» وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له» زاد النسائي: يعني يوم الجمعة، ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق. وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب إلى بيت المقدس، وصلت النصارى إلى المشرق، وهدانا الله إلى الكعبة. وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت النصارى كان نصرانياً، فهدانا إلى الحق فقلنا: كان حنيفاً مسلماً. واختلفوا في عيسى ابن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه، فهدانا الله في ذلك كله للحق. والمعنى فهدى الله الذين آمنوا إلى الحق الذي اختلف فيه من اختلف ﴿بإذنه﴾ يعني بعلمه وأمره وإرادته ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

وفي النور موضعين، لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما يُحكم به، وقراءة العامّة بفتح الياء وضمّ الكاف، أي: ليحكم الكتاب، ذكره على سِعة الكلام، كقوله تعالى: ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقيل: معناه ليحكم كل نبيّ بكتابه، ﴿ فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه ﴾، أي: في الكتاب ﴿ إلّا الذين أُوتوه ﴾، أي: أُعطوا الكتاب، ﴿ من بعد ما جاءتهم البيّنات ﴾، يعني: أحكام التوراة والإنجيل، قال الفرّاء: ولاختلافهم معنيان: أحدهما كفرُ بعضهم بكتاب بعض، قال الله تعالى: ﴿ ويقولون نُؤمن ببعض ونكفر ببعضٍ ﴾ [النساء: ١٥٠]، والآخر: تحريفهم كتاب الله قال الله: ﴿ يُحرّفون الكَلِم عن مواضعه ﴾ [النساء: ٤٦، والمائدة: ١٣]، وقيل: الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب ﴿ مِنْ بعدِ ما جاءتهم البيّنات ﴾، صفة محمد ﷺ في كتبهم، ﴿ بغياً ﴾ ظلماً وحسداً ﴿ بينهم فهدى الله الذين آمنوا لِما اختلفوا فيه ﴾، أي: إلى ما اختلفوا فيه، ﴿ من الحق بإذنه ﴾، بعلمه وإرادته فيهم، قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القِبلة فمنهم مَن يصلّي إلى المشرق ومنهم مَن يصلّي إلى المغرب، ومنهم مَن يصلّي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود الفِرية، وجعلته النصارى إلّهاً، وهدانا الله للحق فيه، ﴿ والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم ﴾.